قراءات ومراجعات

مراجعة لكتاب

الجامعة الحضارية: مفهومها ووظائفها ومتطلباتها*

تأليف: حسان عبد الله حسان**

أسامة حسن عايش صالح***

يشتمل الكتاب بمحتوياته النصية على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، مضافاً إليه فهرس المحتويات، وصفحة الإهداء، وقائمة المراجع، وكشاف ألفبائي متنوع البحث، أعلاماً ومفهوماً، وأمكنة، ومسميات، ووجهات جغرافية دلالية. وتقع جميعا في 310 صفحات من القطع المتوسط.

أبان الـمُؤَلِّف في مقدمته، التي تقع في 29 صفحة (11–39)، عن سير الدراسة وإطار المراجعة، معتبراً أن مفهوم الجامعة يشكّل نبض قلب الإنسانية، منتقداً حالة التناقض التي أحاطت بدايات النشأة الجامعية في البلدان العربية والإسلامية حديثاً، والتي تأرجحت بين تحقيق طموح النهضة الحضارية، وواقع سيرها النمطي الفكري الغربي الذي رافق نشأتها، وأدّى

---

* حسان، عبد الله حسان (2021). الجامعة الحضارية: مفهومها ووظائفها ومتطلباتها، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

** باحث وأكاديمي مصري، حاصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة 2007، أستاذ مساعد لأصول التربية– جامعة دمياط. البريد الإلكتروني: hassan_abdallah1970@hotmail.com

*** دكتوراه في فلسفة التاريخ المعاصر، جامعة تونس، 2010 م، أستاذ مساعد في قسم متطلبات الجامعة، جامعة إربد الأهلية بالأردن. البريد الإلكتروني: saleh.osama@yahoo.com

تم تسلُّم المراجعة بتاريخ 8/ 10/ 2023م، وقُبِلت للنشر بتاريخ 4/ 1/ 2024م.

صالح، أسامة (2024). مراجعة لكتاب: الجامعة الحضارية: مفهومها ووظائفها ومتطلباتها، **مجلة "الفكر الإسلامي المعاصر"**، مجلد30، العدد 107، 205–225. DOI: 10.35632/citj.v30i107.89

كافة الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي 2024 ©

إلى نشوء حالة من حالات الاضطراب والتشرذم في حركة البحث والتعليم والإنتاج المعرفي الجامعي، حتى أصبح التعليم الجامعي أحد معوقات نهضة الأمة. وتم إيضاح مسعى دراسته التأليفية، والمتمحورة حول طرح تصوّر معرفي لتأسيس جامعة حضارية، مهمتها مواجهة التحديات المعرفية، وإنبات المشروع الحضاري، نهضة وإحياءً، مشدداً على دلالة مفهوم الحضارة، نسبة ومعرفة وعلماً وثورة وتنافساً.

ضَمَّنَ الـمُؤَلِّف في مقدمته عنونة رئيسة سباعية التأطير، وفرعية تجزيئية تكاملية. تناولت أولاً مصطلحات الدراسة الأساسية من خلال أوّلية فرعية، وهي الجامعة الحضارية، الماهية اللغوية، والاصطلاحية، والوظيفية، والمعرفية، والتاريخية، والحضارية صفةً، وخلاصة وظيفية تجديدية اجتهادية، وبنائية نهضوية تحضّرية استجابية. لقد أبرز في تضمينه الأولي الفرعي الأبعاد الأساسية التي تتصل بالبعد المنهجي للمفهوم الحضاري، مرجعاً جذورياً أصولياً، وموضوعياً أصولياً منهاجياً، وواقعياً وعياً اجتماعياً، وعالمياً عمقاً مؤنسناً (حسان، 2021، ص13–27). وتوسعت المقدمة بفرعيتها الثانية إيراد التحديات المعرفية، والمتمحورة حول ثلاثة تحديات رئيسة، هي: التغريب الأنموذجي العلماني، والعولمة الثقافية الاستعمارية، والبحث عن منظور حضاري بديل (حسان، 2021، ص27–28). واختصرت الفرعية الثالثة للمقدمة تصوراً فكرياً مقترحاً عن الأسس المعرفية للجامعة الحضارية. ويعدّ هذا التصور مقترحاً لكونه يتعرض لمفهوم لم يتصف بصفة الاستقرار في المعاصرة الفكرية الإسلامية بعموميتها، وبالفكرية التربوية بخصوصيتها، مشرعاً أبواب الحوار والجدل الفكري حوله، حذفاً أو إضافة أو تطويراً، أو كليتها الشمولية معاً (حسان، 2021، ص28–29).

تناولت المقدمة بثنائيتها التأطيرية حد الدراسة المعرفي، وهو بمثابة الأسس المعرفية التي يتكون منها التصور المقترح للجامعة الحضارية، متضمناً أربعة عناصر رئيسة هي: المفهوم بدلالته التاريخية والمعاصرة، والوظائف بصفتها بعداً حضارياً ومدخلاً أساسياً للبحث، والأطر المنهجية والقيمية والعلمية، والمتطلبات البشرية والفكرية المؤسسية، والاقتصادية التمويلية، ومتطلب الوعي

الحضاري بقيمة الجامعة الحضارية، التي تعد أطروحة البحث الرئيسة (حسان، 2021، ص29). وجاء التأطير الثلاثي للمقدمة خاصّاً بالبناء التصوّري المقترح للمشروع الجامعي الحضاري، وقراءته التاريخية المرحلية. وقد استخدم الباحث مسمىٰ "القراءة السياقية"، وقراءة الواقع بحدثيته ومعاصرته، وقراءة الفعل التاريخي والحضاري الجامعي الاستشرافي الإحيائي في الحركية الفكرية التربوية، بثنائيتها العربية والإسلامية. وذُيّل هذا التأطير بإشارتين حول منهج الدراسة ومدخلها؛ الأولىٰ متعلقة بالمنهج الوصفي الـمُشخّص للتحدّي المعرفي، والثانية متصلة بالمدخل الوظيفي البنائي الكاشف لدور الجامعة العضوي في وجود الأمة، وإحداث النقلة الحضارية المعرفية (حسان، 2021، ص30–31). وخُصّص التأطير الرباعي للمقدمة للبحث في الأهمية النظرية والتطبيقية للمشروع التكاملي الفكري حول تأسيس الجامعة الحضارية، مفهوماً ومُنجزاً، ومحاولة لفت انتباه أصحاب الاختصاص التربوي إلىٰ ضرورة تأصيل مفهوم الجامعة الحضارية؛ بحوثاً ورسائل جامعية (حسان، 2021، ص31–32). وجاءت الخبرات البحثية السابقة لتشكل التأطير الخماسي للمقدمة، منتقية إحدىٰ الدراسات المسحية التحليلية للجامعات الإسلامية؛ تصنيفاً ونقداً، وهي دراسة محمد جميل بن خياط، التي جاءت تحت العنوان الآتي: "الجامعات الإسلامية: دراسة مسحية تحليلية تقويمية"، الصادرة عن رابطة الجامعات الإسلامية، والمنشور في الرياض عام 1994م. ووفقاً لهذه الدراسة المنتقاة، فقد تمّ تصنيف الجامعات في العالم الإسلامي كيفياً إلىٰ ثلاثة أصناف هي: جامعات التصقت بها صفة الإسلامية مسمىً، والدراسات الدينية موضوعاً. وجامعات عصرية، تتفاوت بين اللقب الإسلامي واللاإسلامي عنونةً، والموضوع الديني والدنيوي تصوراً. وجامعات عصرية، تنفي اللقب الإسلامي في مسماها، لكنها تجسد الازدواجية التدريسية الغربية في علومها الدينية والدنيوية. ومع التسليم بأهمية الدراسة؛ وصفاً وتحليلاً ميدانياً، إلا أنه أوضح أوجه القصور فيها، والمتمثلة في إسقاطها للإطار النظري للحالة الجامعية في العالم الإسلامي، والاكتفاء بالتصنيف الثلاثي أعلاه، اعتماداً علىٰ اللائحة الإدارية الجامعية، والاستبانة الكمية المقدمة للهيئة التدريسية. وتعمّق القصور فكرياً من خلال عدم تضمينها تصوراً فلسفياً شاملاً مقترحاً لمفهوم الجامعة

الإسلامية، والمستندة إلى الثوابت والمنطلقات الحضارية الإسلامية، وما يحتاجه الواقع الإسلامي آنياً، والمستجد العالمي القاصر (حسان، 2021، ص32-33).

وتعميقاً للخبرات البحثية السابقة، تناول الباحث أربع دراسات أخرى، وهي: دراسة داود الفاعوري، المسماة: دور الجامعة الإسلامية المعاصرة، 1995م، التي تبحث في العلاقة بين التعريف الجامعي الإسلامي وعلاقته بالنهضة الإسلامية معاصرة. وخرجت هذه الجامعة بنظرة تقويمية للدور الجامعي الإسلامي واقعاً، وبرؤية نقدية لماهيتها، متمثلة بغياب المقصدية الدرسية العلمية، وغياب التخطيط العلمي، الذي من المفترض أن يستفيد من الكفاءة العلمية الإسلامية، فضلاً عن الازدواجية المعرفية في النظرة؛ أسلمة وغربنة. يضاف إلى ذلك، لغة التغريب العلمي، وافتقاد مأسسة الترجمة الجامعية، التي تحول دون الانفتاح والتواصل مع الحداثة العلمية؛ نتاجاً ومواكبة (حسان، 2021، ص33-34).

وتأتي دراسة سيف الدين عبد الفتاح، المسماة: "التعليم والهوية: نحو تأسيس جامعات حضارية، 2006"، لتبحث في عمق الهوية منطلقاً، وتجذيرها فكرةً وموضوعاً ووصفاً. وطرحت هذه الدراسة التنظيرية مجموعة أسئلة رباعية، تبحث عن إجابات موضوعية، وهي: هل الجامعة، بِاَنيتها الوضعية، تمثل المجتمع، ضميراً وفكراً واجتهاداً؟؛ ووفقاً للإطار الدلالي، هل صحة الجامعة دليل على صحة المجتمع؟؛ وأين تكمن روابط الجامعة بواقع المجتمع؛ تأثراً وتأثيراً؟؛ وفي ماهية الفكر والثقافة، أين الموقعية للجامعة، في خضم الكيانية الفكرية والثقافية المجتمعية؟. وخرجت الدراسة برؤية تأكيدية لدور الجامعات الحضارية، ممثلاً بمحاولة حل أزمة الهُوية، وتحشيد الجهود لإعادة الصياغة الشمولية لمفهوم المجتمع، وتجذير فكرة تنظيمه؛ حضارياً وشعورياً وقيمياً وعقلياً ومعرفياً وفكرياً وثقافياً، استناداً إلى الثوابت الحضارية مُقوماً. والغاية من ذلك تحقيق درجة من الثقة والتقابلية المتحداة لأنموذج فكري معاش، محدداً بإمكانات الأمة الواقعية، وتنظيم الفاعلية الوجودية خاصتها (حسان، 2021، ص34-35).

وتهيكلت دراسة أبو بكر محمد إبراهيم، التي خُطّت تحت عنوان: (التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية: دراسة في تجربة كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العلمية في ماليزيا، 2007 م)، حول بعدين اثنين؛ هما: العمق الدراسي للفكرة الإسلامية، من خلال إعادة صياغة مفاهيم العلوم والمعارف، وفقاً للمنظور التكاملي الرؤيوي التوحيدي الكلي، تقويماً لأدبيات التكامل المعرفي في عمق مدرسة إسلامية المعرفة. وأفرد الهيكل الثاني لدراسة التجربة المحورية التي خاضتها الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية، تأطيراً لمفهوم التكامل المعرفي ببعديه، معارف الوحي والعلوم الإنسانية. وتحددت أهداف الدراسة بثلاثة؛ أولها: خط تتبعي لأثر التوجهات الفكرية الإسلامية المعاصرة للتعليم الجامعي؛ فكرةً وفلسفةً. وثانيها: تأطير تحديدي للمبادىء والأسس العامة لغاية تصميم مناهج جامعة إسلامية. وثالثها: اختبار قياسي لمدى وضوحية مفهوم التكامل المعرفي في مناهج الدراسة الجامعية، وتحديداً بكلية معارف الوحي والعلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية الماليزية. وخرجت الدراسة بنتائج عديدة، أميزها الماهية الثرائية لتجربة التكامل المعرفي في كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية، إذا ما قورنت بتجارب عديدة طُبقت في الجامعات الإسلامية الأخرى. إن هذه القيمة الثرائية الإثرائية لم تمنع من وجود بعض صعوبات أولية، تفرض حاجة ملحة للتطوير والتحسين، وهو ما ضمنته الدراسة تنبيهاً. وهناك توصيات إحداثية توجهية مستحدثة بوجوبية النظرة الجديدة إلى مفهوم الجامعة الإسلامية، والعناية بنواحيها الروحية والأخلاقية، وعدم إهمال الجوانب النفسية والتربوية، بجانب المعرفية، لإحداث بناء تنموي للشخصية الإسلامية، يغلب عليه صفة التوازن والتكامل. وتم التأكيد على أن لا يتضمن المنهاج الدراسي تعارضاً مع التصور الإسلامي الفلسفي الاعتقادي لثلاثية الإنسان والكون والحياة، بصرف النظر عن المسمى التحاقلي؛ تخصصاً أو دراسة. وأوجبت أهمية انسياب المعرفة الإسلامية لمن يدرس العلوم الحديثة، وإتاحة الفرصة لمن يدرس العلوم الشرعية والإسلامية، لكي ينهل من معين المعرفة العلمية العصرية، والتي ستكون مخرجاتها إحداث نوع من التلاقي بين وجهات نظر الفئتين؛ تقارباً وانسجاماً.

وأكّدت هذه الدراسة التكاملية المعرفية التطبيقية المناهجية الجامعية، على ضرورة إيجاد بناء تأسيسي في التعليم الإسلامي الجامعي، يتخذ صفة الإلزامية، ويغطي كل المجالات الدراسية الجامعية، بحيث تكمن فائدته في تزويد كل من يدرس في المرحلة الجامعية بمعرفة إسلامية أساسية، تمكّنه من ممارسة نشاط معرفي تفكيري، يتصف بالاستقلالية الممنهجة. ونظرت إلى البناء التأسيسي في التعليم الإسلامي الجامعي بصفته جذع مشترك (حسان، 2021، ص35-36).

وأما الدراسة الرابعة، التي جاءت تعميقاً للخبرات البحثية السابقة، فقد خطّها حسن عزوزي، وحملت عنوان: (إسهام الجامعات الإسلامية في الحضارة الإنسانية، 2010 م)، وقامت على فرضية تأريخية حضارية إسلامية، مفادها أن الجامعات تمكّنت من تأسيس مفهوم وظيفي متجدداً للبناء العلمي والمعرفي والثقافي. وتعلل السببية في ذلك، لأن جوهر المكونات الوظيفية التي اتكأت إليها هذه الجامعات قروناً طويلة، تمثل في التعليم والتأهيل والاجتهاد والانفتاح على شتى سيول المعرفة، والرأي الغيري الآخر. إن هذه المكونات الوظيفية الاتكائية الاستنادية هي التي جعلت تلك الجامعات تسهم بتشييد بناء حضاري إسلامي، من زاوية التراثية الحضارية الإنسانية عامة، والحضارة الغربية على وجه الخصوص معاينةً.

ويمّمت الدراسة شطرها لتحقيق ثلاثة أهداف رئيسة، يقف في أولويتها: إبراز الدور المحوري للجامعات الإسلامية في تكوين العقلية العلمية، والمَلَكَة النقدية، وهذا أدّى إلى تطوير العلوم التطبيقية، وانتقالها إلى القارة الأوروبية؛ بذوراً وإرهاصات نهضوية. وهدف تأكيدي لرسالة الجامعات الإسلامية في بناء شخصية الأمة الحضارية، والإضافة الإسهامية في بناء الصرح الحضاري الإنساني. وهدف دعوي، يتمثل في إعادة إنتاج فلسفة التأمل لطبيعة الدور الذي قامت به الجامعات الإسلامية، اكتشافاً لمكامن القوة، والشهود الحضاري، استنباتاً لروح الثقة في الأجيال المعاصرة حاضراً.

ومن الناحية المنهجية، أولت الدراسة عناية ملحوظة بتناولها التاريخي، والبحث في خصوصية الأدوار، والطبيعة الوظائفية التاريخية للجامعات في ظل المحتوى الحضاري الإسلامي، مع ضرورة

تحقيق التفاتة علمية للواقع المعرفي الجامعي العالمي الإسلامي المعاصر.وتمثلت الإفادة المهمة لهذه الدراسة في الدور التربوي للجامعات، وأثره في تكوين الشخصية المسلمة، وإبراز القيم التأصلية التي قامت عليها الصروح الجامعية، والتي حُصرت دراسياً في خمس قيم أساسية، هي: الأصالة، ومنطلق التوحيد المبدئي، والروح العلمية المعقلنة، والانفتاح المعرفي، والحرية الفكرية (حسان، 2021، ص36-37).

وأوضح الباحث، في تناوله للخبرات البحثية السابقة، بأنها تشكل فائدة معرفية نظرية وتحليلية لفكرة الجامعة الحضارية أصلاً، إلا أن غالبية الدراسات عنها مغيبة عن الوجود المكتبي الأكاديمي العربي؛ إذ لم يكن التوجّه الأكاديمي للبحث التربوي معنياً بالدراسات الحضارية للجامعة (حسان، 2021، ص37).

تأطّرت قضية الدراسة وأهدافها، ترتيبية سداسية منهجية لمحاور المقدمة، مركزة على فكرة المشروع البحثي الرئيسة، المتمثلة بتأسيس جامعة حضارية، تجسد مشروعاً إصلاحياً نهضوياً عربياً إسلامياً، ما يشكّل تربة بيئية خصبة لتنمية الأفكار، وديمومة التطوّر، وتحققية الإبداع الهادف إلى بلورة التمكين الحضاري المؤمل. وحُددت القضية الدراسية الآنية في تساؤل مركب رئيس، قُسّم بدوره إلى أسئلة فرعية متعددة. وتمركز التساؤل حول العمق المفهومي للجامعة الحضارية؛ وظيفة وأطراً ومتطلباً وجودياً يتماهى دلالياً في خضم التحديات المعرفية المعاصرة. أما الأسئلة الفرعية فقد تمّ توصيفها بشكل أخص من العمومية، من ذلك: إلحاحيات تساؤلية حول أهم التحديات المعرفية التي تواجه المحتوى السوسيولوجي البنائي العربي والإسلامي؛ ومفهوم الجامعة الحضارية ذاته، بوظائفها الأساسية، وأطرها الحاكمة، ومتطلباتها التأسيسية. وتمت الإيماءة إلى غائية التصور لمشروع الجامعة الحضارية البحثي في واقعية الأمة المعاش، متمثلاً بتقديم تصور أساسي أولي مقترح للأسس المعرفية، من حيث المفهوم، والوظائف، والأطر، والمتطلبات، الذي يتكفل بمواجهة التحديات المعرفية الحضارية، معاصرة ومستقبلية. وقُننت أهداف هذا المشروع البحثي بخماسية تحقيقية، هي: الإدراك المعرفي لمفهوم الجامعة الحضارية؛ أفكاراً رائدة، وأبعاداً مُخططة؛ إخضاع أهم تحدي معرفي

شمولي تواجهه الأمة لتحليل علمي منهجي؛ الحصر البياني الوظائفي التي يفترض على الجامعة الحضارية القيام به، تحقيقاً في واقعية الأمة المعاشة؛ تحديد الأطر الحاكمة المهمة، التي تشكل منطلقاً معرفياً منظوراً للجامعة الحضارية؛ والاختتام بوقوف عملي على المتطلبات المهمة لتأسيس الجامعة الحضارية (حسان، 2021، ص38–39).

قُفلت المقدمة بسباعية ختامية، تناولت محاور الدراسة وأقسامها، التي انقسمت بدورها إلى فصول أربعة، فضلاً عن إطار منهجي، احتوى بدوره على ثنائية موضوعية، هي: سير الدراسة، وإطار المراجعة. بالإضافة إلى نتائج الدراسة وتوصياتها. أما الفصول، فقد تعنونت بدورها تحت المسمى الرئيس الآتي، عنونة بنائية تصاعدية. جاء الفصل الأول معنوناً كما يأتي: الجامعة الحضارية (التحديات والضرورات). أما الفصل الثاني فهو: الجامعة الحضارية في الفكر الإصلاحي المعاصر (التنظير ومحاولات التطبيق). في حين تصدر الفصل الثالث هذا العنوان: وظائف الجامعة الحضارية في ضوء مدخل الاجتهاد المعرفي. ونسج الفصل الرابع بمسمى: الجامعة الحضارية (الأطر والمتطلبات) (حسان، 2021، ص39).

أشار الفصل الأول (حسان، 2021، ص41–74) إلى واقع الجامعات في الحياض المجتمعي العربي، والإسلامي عموماً، من خلال تتبعية السببية التنشئوية، والسياقية الاجتماعية والثقافية (حسان، 2021، ص41). إلا أنه تأسس على فكرتين رئيستين، هما: التحديات المعرفية المعاصرة، والتي حُصرت بثلاثة، هي: تحدي التغريب؛ تأثيراً فكرياً وافداً، واستلاباً، وغزواً وهيمنة ثقافية، وإفساداً قيمياً، وتمثلاً بالذات الـمُتشبّه بها غربياً. لقد وُظف المشروع التغريبي عبر النسقية المنهجية المستوعبة للنخب العلمية، المغرّبة ثقافياً عن طريق التثاقف المهجري، والتدامج السلوكي، والتشتيت الوجودي للهوية الحضارية الأصلية؛ نسقاً للحياة الغربية، وتمثلاً للفكر الغربي تفكراً. ويرى المؤلف بأن الإشكالية المعرفية الكبرى التي واجهت العقلية المسلمة نتيجة للتغريب الحركي، تتمثل بالازدواجية التعليمية النظامية لتعليم مدني إصلاحي، وتعليم ديني غلب عليه الجمود، وقفل باب الاجتهاد، مما جعله عبئاً على واقعه لا حلّ له. لقد أصبحت هذه الازدواجية في العمق التعليمي

مسؤولة عن تشكيل البنية المعرفية العقلية الإسلامية. (حسان، 2021، ص41–46). والتحدي الثاني هو العولمة ذات الاكتساح العالمي القيمي، والتي تشكل حالة متقدمة من حالات الهيمنة الثقافية والفكرية، بعد حالة التغريب الفكري، والاستعمار المادي العسكري. وأوجد المؤلف مساحة لمناقشة الأفكار المعولمة لكل من فرانسيس فوكوياما، صاحب كتاب نهاية التاريخ وخاتم البشر، المؤمن بتفرد الأنموذج الغربي التحرري لقيادة العالم. وصامويل هنتنجتون، منظّر نظرية صدام الحضارات، والمتمسك بالحضارة الغربية الكونية المتصادمة ثقافياً مع الآخر، وخاصة العالم الإسلامي. وبعد إيجاده لهذه المساحة النقاشية الفكرية، أبرز أهم أهداف المركزة الثقافية الأمريكية المعولمة، المتمثلة بما يأتي: بنائية نمطية تفكيرية متميزة لنخب أُدمجت في ثقافة مستهلكة؛ وأمركة النسق الحياتي العالمي؛ والتحكم في المسار التطوري للبنى التقليدية بما يتساوق مع المنتج الرأسمالي المعولم؛ والتغريب الثقافي الوطني؛ إعلاماً وتقنية واحتكاراً معرفياً. وأظهر التأثير المباشر للعولمة في الحركية الجامعية العربية الإسلامية، وأهمية التصدي لها من خلال الجامعة المتفاعلة مؤسساتياً؛ حفاظاً على ديمومة الوجود والبقاء. وتبلور التحدي الثالث في محاولة إيجاد المنظور الحضاري البديل، الذي يجسد في دلالته حفزاً للعقلية الأكاديمية المسلمة؛ مرجعيةً فكرية، وأنموذجاً معرفياً. ومما يلاحظ استخدامه تعبيرات مصوغة للدور المعرفي العربي المستحدث لجامعة المستقبل، متمثلة بدورها بقضايا الصالح العام، والقيمة التماسكية الاجتماعية تعددية، ومفهوم الوحدة الوطنية، ومصطلح العروة الوثقى في الثنائية القومية العربية انتماءً. وتمايز مع التقليل من أهمية هذا الدور، سيادة المقولة التعليمية الاستثمارية بميزة التعليم الخاص والأجنبي عن التعليم الرسمي، أفضليةً وجودةً. وأعاد المؤلف التركيز على العولمة الثقافية، تأثيراً في العقلية البحثية، والمناخية الجمعية، مما أدّى إلى ترسيخ مفهوم هيمنة الأنموذج المعرفي الغربي على العلم؛ بحثاً ومناهجاً، الذي تحددت معالمه على النحو الآتي: أولاً: تضخم الحالة العقائدية العلمية، بالنظر إلى العلم على أنه مقابل للدين، وهو الوريث والبدل؛ وثانياً: اختزالية المنهجية العلمية في العناصر التجريبية الحسية، نـزعةً، وتقليديةَ طرائقية مذهبية، ونظريات علمية تربوية نفسية، وفلسفية منطقية متنوعة، كالإجرائية، والسلوكية، والنقدية، والوضعية

المحدثة، والوضعية التجريبية المنطقية، والتي ساهمت جميعها في علمنة أساليب التفكير، والتمنطق التفسيري الإنساني، ديناً وأخلاقاً؛ وثالثاً: قولبة الحقيقة الإنسانية في إطارها المادي المحض. وأفرزت هذه المعالم تحدياً في إيجاد منظور حضاري عربي وإسلامي، علماً ومعرفة مؤنسنة، وخصوصية حضارية منسابة في مسار الإبداع والنهضة، ونسقاً معرفياً بيئياً اجتهادياً. وآثر المؤلف أن يهيكل ما أطلق عليه مسمى المنظور الحضاري التوحيدي، هيكلةً قائمةً على فكرتين أساسيتين، هما: فكرة الأنموذج الثقافي الوسطي، معياراً ميزانياً للحكم به، وضابطاً يرجع إليه في حالة انحراف الأمة. وفكرة المسقط الرأسي، التي هي أساس الحيوية الحضارية للأنموذج الثقافي الوسطي. ويوضح بأن مفهوم الهداية التي تصدر عن أصل علوي يتجاوز ماهية الإنسان، يحتل موقعاً في المسقط الرأسي. أما المسقط الأفقي فهو ثقافة تعلقية أفقية في أساسه، متمحورة حول المطلق الذاتي. ويُحدد المنظومة القيمية الحضارية الـمُضمنة في الإسلام، التي يقوم عليها المنظور الحضاري، حاصراً إياها بتسع مفردات، هي: العقيدة الرافعة، والشريعة الدافعة، والقيم التأسيسية الحاكمة، والقيم الوسطية، والقيم المولدة، والأمة الجامعة، والحضارة الفاعلة الشاهدة، والسنن الشرطية، والمقاصد الحافظة. ومعتقداً في الآن ذاته بأن إيجاد منظور حضاري بديل عن المنظور الحضاري المعاصر، الذي يتصف بالهيمنة على العلوم الإنسانية، هو حاجة معرفية، لها صفة الضرورة والإلحاح (حسان، 2021، ص47-59).

أما الفكرة التأسيسية الثانية، فهي: واقع الجامعات في العالم العربي والإسلامي؛ نشأةً وتأسيساً. انطلق المؤلف في فكرته هذه من مسلَّمَة تاريخية تربط النشأة التأسيسة العصرية الحديثة للجامعات، عربياً وإسلامياً، بوجودية الاستعمار، أو الارتباط به، مبتدئاً بذكر الجامعة الأمريكية في العاصمة اللبنانية بيروت، والمؤسسة في عام 1866م، بصفتها أول جامعة أُنشئت في العالم الإسلامي. ويتبنى تحليلاً سببياً غيرياً للهدف من إنشائها، وهو متمثل ببعد سياسي مرتبط بالتمهيد الفكري والثقافي لحركة الاستعمار، وبعد ديني يهدف إلى هداية مسيحيي الشرق، الذين هم في اعتقادهم هراطقة، إلى المذهب الإيماني الصحيح. ويقرر في توازي الفكرة، بارتباط تأسيسها ارتباطاً وثيقاً بالتطورية

الاستعمارية التي شهدتها منطقة الشرق العربي. وأُشير إلى جامعة القديس يوسف، لكونها ثاني الجامعات المؤسسة في عام 1875م، والمتخصصة بالدراسات اللاهوتية. وعُرِّجَ بتسلسلية تاريخية ذكراً للجامعات، التي توصف بأنها وطنية أو أهلية، في العالم الإسلامي، مما غلب عليها مبدأ الصراع بين الفكرة الإسلامية الأصيلة، والفكرة العلمانية الاستعمارية الوافدة، بدءاً بجامعة الجزائر المنشأة في عام 1897م، مروراً بجامعة القاهرة، التي تأسست في عام 1908م، وانتهاء بجامعة طهران، التي يعود تأريخ تأسيسها إلى عام 1934م. ولم يكن إنشاء الجامعات الحديثة، وفقاً لرأيه، إلا ترسيخاً للمشروع الفكري والثقافي التغريبي، وتمتيناً للوجود الاستعماري، من خلال الربط بين الدرجة العلمية الجامعية، والمنصب الإداري السياسي. لقد رجح من إمكانية الإفادة من النشأة الجامعية في خدمة المشروح الحضاري المعرفي العربي الإسلامي، إلا أن ارتباط المرجعية الفكرية بأنموذج المعرفة الاستعمارية حال دون ذلك، وَحَيَّدَ نشأتها عن الاحتياجيات المجتمعية؛ نهضةً وتنميةً، مُعْتَقِداً بزيادة تبعية الإدارة الجامعية للنظام السياسي في الدولة القطرية، مما أفقدها مبدأ الاستقلالية، لا سيما في الميدان التوظيفي الإداري والأكاديمي، وخصوصية البحث العلمي. وَيُحْدِثُ ترابطاً بين الإدارة الجامعية المؤمنة بالمشروع الاستعمار الغربي (مشروع سايكس بيكو التقسيمي) من جهة، والمشروع التغريبي الحداثي من جهة أخرى. الأمر الذي شكّل عقبة في مسيرة تطوير المنظومة التعليمية العالية، والتأثير السلبي السايكولوجي الذهني في تبنّي الصورة الجامعية الأوروبية واستحضارها، بنيةً وبنيوياً وتشوهياً، وهيمنةً منهجية تناهض الوحي السماوي والدين الإلهي. وتبع ذلك تضخم أزمة النظام التعليمي في الجامعات التقليدية ذات النمطية الدينية، أزمةً داخلية مُركزة قبل أن تكون خارجية مُهيمنة، تقاطعت مع الخصوصية الذاتية، وكمية المحتوى، والعمق التاريخي، والتنوع التخصصي (حسان، 2021، ص59–74).

تفرّد الفصل الثاني (حسان، 2021، ص75–131) بتسليط الضوء على الموقف الفكري الإصلاحي المعاصر، المتصل برؤيتة النقدية الثاقبة؛ إصلاحاً للتعليم الجامعي، وفقاً للمنظور الإسلامي المرجعي الحضاري التوحيدي. وشيّد المؤلف فصله حول فكرتين محوريتين، هما: التنظير

الفكري لرواد الفكر الإصلاحي الإسلامي، متناولاً ثمانية أسماء رائدة في هذا المجال، وهي، أولاً: حامد ربيع، الذي يُعد من أبرز المفكرين الذين تناولوا فكرة الجامعة الحضارية، من حيث المصطلح والمفهوم، مؤكداً بوجوبية اتصاف الجامعة بالوظيفية الحضارية، مؤمناً بأنها تُعدُّ معقلاً للثقافة القومية، وتمثل العلاقة الترابطية للتحقيبية التاريخية؛ ماضياً وحاضراً ومستقبلاً (حسان، 2021، ص76–82). ثانياً: علي شريعتي، المؤمن بفكرة النقد الحضاري لواقعية الأمة السياقية، نقداً يستشرف البديل الحضاري المغاير، والمتشبث بالمبدأ التكويني لتربية مجموعة من العلماء والمفكرين، يتصفون بالقدرة البنائية العلمية الأنموذجية المعرفية، قائمة على أُس التوحيد المنهجي، وحركة اجتهادية إنجازية حضارية، رؤيتها معرفية كونية توحيدية (حسان، 2021، ص82–87). ثالثاً: إسماعيل الفاروقي، صاحب المشروعية الإسلامية المعرفية، أو ما عُرف بأسلمة المعرفة، ومنظّر فكرة ومشروع ومؤسسة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الذي يُمتن العرى بين المقصدية التعليمية الإسلامية، والنخبوية التعليمية التدريسية الواعية بالمسألة الدلالية لصبغ العلوم بالصبغة الإسلامية، بالاتساق مع أهمية الإفادة من المعرفة العلمية الغربية. وقد حدّد المقاصد العليا للجامعة الإسلامية الحضارية، المتمثلة بالتوحيد والتزكية والعمران (حسان، 2021، ص87–98). رابعاً: حامد حسن بلجرامي، وسيد علي أشرف، المؤمنان بالاختلاف الجذري بين الجامعة الإسلامية والجامعات الغربية؛ مفهوماً وغايةً ومعرفةً. فالغاية الجامعية الإسلامية، وفقاً لرؤيتهما، إعداد نخبوي رجولي معرفي قيمي مستنير، يصلح ذاته، ويصلح الإنسانية جمعاء. وقاما بطرح العنصرين المهمين لمتطلبات الجامعة الإسلامية، وهما: المفهوم المعرفي التوسعي في التصور الإسلامي، والحرية الأكاديمية في كنف الاستقلالية الجامعية؛ نظاماً تربوياً وفكرياً وإدارياً. وأشارا إلى متطلبات الجامعة الإسلامية، من حيث إعادة بناء المفهوم المعرفي العلمي وصياغته. وإنشاء مرجعيات بحثية متميزة (مراكز ومعاهد وأقسام)، خاصيتها إدراك التحدي المعرفي الحضاري. والتأهيل الفكري العقلي لأعضاء الهيئة التدريسية، يجمع في محتواه معرفة معاصرة وأخرى إسلامية. ومتطلب منهجي، تشيد فلسفته من خلال المبدئية التوحيدية، والرؤية التصورية البنائية المعرفية (حسان، 2021، ص98–101). خامساً:

سيد معظم حسين، الذي انطلق برؤيته الإصلاحية التعليمية الجامعية من مبدئية التكامل المعرفي بين العلوم والتعليم، مشيراً إلى أن مهمة الجامعة الإسلامية هي حلّ إشكالية الازدواجية المعرفية، ووظيفتها إحيائية أخلاقية فكرية (حسان، 2021، ص102–103). سادساً: روح الله الموسوي الخميني، الداعي إلى مفهوم أسلمة الجامعة؛ وطنياً وإسلامياً، بتقابلية الجامعة الاستعمارية، ولكن ليس أسلمة تقسيمية تخصصية، إنما أسلمة تتحدد معالمها من خلال الأهداف الجامعية، استقلالاً فكرياً، واستخداماً منهجياً، وبُعداً أخلاقياً وتربوياً، ودورها في عملية النهوض الحضاري (حسان، 2021، ص103–107). سابعاً: أبو الحسن الندوي، الذي قدّم فكرة جديدة مستحدثة للجامعة الإسلامية، هي جامعة الدعوة والإرشاد، المهتمة بمسألة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والتبليغ الإسلامي، رسوخاً في العلم والدين والمعاصرة. ووضع للجامعة منهجاً دراسياً، يتأثث محورياً في ستة عناصر رئيسة، مرتبة عمودياً من حيث الأهمية كما يأتي: القرآن والسنة والسيرة النبوية، مقاصد الشريعة، علم أصول الفقه، الأدب العربي، العلوم العصرية المشتملة على السياسة والاقتصاد والاجتماع، والدراسات التاريخية لما قبل الإسلام وبعده، متضمناً البحث في تاريخ الحركات التجديدية في وجودية الأمة الإسلامية. وأخذ على عاتقه الدعوة إلى تأسيس مجمع علمي إسلامي، ينتج معرفة علمية منهاجية دراسية، ويؤلف الكتب الجامعية التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة (حسان، 2021، ص107–108). ثامناً: محمد المبارك، الذي مازج في رؤيته الإصلاحية إحداث بعض الإنسجام بين بنائية الجامعات الفكري والإسلام. وقدّم خطة تفصيلية للدراسات الإسلامية في الميادين المختلفة للتعليم الجامعي، مقترحاً مقررات إسلامية علمية من الممكن أن تُضمّن في الكليات التي تُنحّي المحتوى الإسلامي، دراسةً وتدريساً. وفيما يتعلق بالكليات المرتكزة على الدراسات الإسلامية تخصصاً، أبان في رؤيته عن أهمية وجود ثلاثة أقسام رئيسة تشكل عماداً علمياً لهذه الكليات، وهي: قسم الشريعة فقهاً، وقسم العقيدة تاريخاً وأخلاقاً، وقسم التفسير والحديث علماً حديثياً وقرآنياً (حسان، 2021، ص108–111).

ونسج المؤلف خلاصة معرفية تصنيفية لآراء رواد الفكر الإصلاحي الإسلامي، موقناً بأن الجمود الداخلي لحركية الحياة الإسلامية تعليمياً، والمشروع التغريبي الإسلامي هيمنةً، شكلاً باعثاً أساسياً لظهورها المعاصر (حسان، 2021، ص111-113).

أما الفكرة الثانية الـمُشَيِّدَة للفصل الثاني، فقد تناولت المحاولات التطبيقية المعاصرة لمفهوم الجامعة الحضارية، والتي حُصرت في ثلاث محاولات تجريبية هي، أولاً: تجربة الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية، خلال الفترة التحقيبية التاريخية 1988-1999م، التي تبنت مشروع إسلامية المعرفة. ثانياً: الأنموذج التطبيقي الـمُجَسَّد في جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية، الـمُؤَسَّسَة في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1996م، والتي هدفت إلى إبراز صيغة التكامل المعرفي في مشروع إسلامية المعرفة؛ جمعاً استيعابياً منهجياً بين العلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية المعاصرة، وتسامياً مقصدياً التقاءً للشرق مع الغرب، ورؤيةً كلية تدرك الحقيقة الشمولية. ثالثاً: الجامعة والحوزة في إيران، التي يؤرخ إلى وجودها في عام 1980م، وهو العام الذي أصدرت فيه الثورة الإسلامية الإيرانية قراراً يقضي بتشكيل لجنة الثورة الثقافية، المسؤولة عن إيجاد نظام تعليمي جامعي جديد، متضمناً محوراً رئيساً يرتكز على أسلمة التعليم الجامعي؛ مناخاً وبرامجَ وسياسة تعليمية، وإطاراً فكرياً وإعداداً تدريسياً، مع تغلل الوجود الحوزوي الديني في البنية التعليمية الجامعية، متمازجاً مع التعليم المدني دمجاً (حسان، 2021، ص121-131).

خصص المؤلف فصله الثالث للبحث بمفردة فكرية تؤصل الوظائفية الجامعية الحضارية في ضوء الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمعنى الاجتهاد المعرفي. واختار له العنوان الآتي: "وظائف الجامعة الحضارية في ضوء مدخل الاجتهاد المعرفي " (حسان، 2021، ص133-224).

آثر المؤلف أن يشطر فصله هذا إلى شطرين اثنين، وهما: الاجتهاد المعرفي بالنظر إليه كمدخل للوظيفة الحضارية، وتعريفه لغة واصطلاحاً وعملية ممارسة تخصصية، متضمناً مقصوديته تحديداً، ومضامينه المعرفية، ومنطلقاته الفكرية، ومجالات عمله الحيوية، وعلاقاته بالمسارات الجامعية عملاً،

وكليات نشاطها، معرفةً وحضارةً (حسان، 2021، ص133). واعتقد المؤلف بأن أكثر حركات الاجتهاد تأثيراً في النسقية الإنسانية حياة، هي حركة الإنسان المسلم في البُعد العمراني الكوني، التي أنتجت حضارة إسلامية على مدار عشرة قرون بتمامها، اتسمت بالاستقامة والعدل. ونتيجة لتوقف حركة المسلم حياتياً، توقفت حركة الاجتهاد، وعطاء الأمة الحضاري. وبالرغم من ظهور محاولات إنقاذ فردية لهذه الوضعية الاجتهادية الحضارية، إلا أنها لم تُجدِ نفعاً، والسبب في ذلك يعود لحالة الجمود العقلي العام (حسان، 2021، ص135–136). وآثر المؤلف أن يُطلق على هذا النوع من الاجتهاد مسمى اجتهاد الحياة والعمران، الذي لم يأخذ نصيباً معتبراً من التنظير والتطبيق. وانطلاقاً من الرؤية التعليلية، ارتبط مفهوم الاجتهاد في خضم حركة الإصلاح المعرفي حديثاً، بمفهوم آخر عُرف بالإحياء الاجتهادي، الذي عانى بدوره من التوقُّف والتعطُّل الحركي الكوني الإسلامي، مما أدّى إلى ظهور دعوات معاصرة لإحيائه من جديد، بوصفه من الشروط الأساسية لنهضة الأمة الإسلامية. وحدث للعقل المسلم صحوة فكرية حضارية، كانت من مخرجات بوادر عصر النهضة الأوروبية، وسقوط فكرة الخلافة الإسلامية، وظهور العسكرة الاحتلالية للعالم الإسلامي. وبدأت الصحوة تتأطر بسؤال الاجتهاد والتجديد مقابل الجمود والتقليد، ومقاومة التغريب الاستعماري العسكري مشروعاً. وأوضح المؤلف بأن بعث الاجتهاد وإحيائه معاصرة يتصل بالفقه والفكر في آن معاً، مرجحاً بأن المفهوم الاجتهادي الذي قدّمه علي شريعتي، هو مفهوم رائد للاجتهاد المعرفي، ومعيار لضبط الإنتاج المعرفي للمشروع النهضوي في الأمة الإسلامية (حسان، 2021، ص136–140).

ويُبرز المؤلف رؤيتين فكريتين للاجتهاد المعرفي، الأولى لجمال الدين عطية، الذي يرى في ماهية الاجتهاد عملية تفاعل بين الإسلام والواقع المعيش، متضمنة ثلاثة عناصر رئيسة، هي: النظرة الإسلامية الكُلية عن الله والكون والإنسان؛ والقيم الضابطة للسلوك الإنساني، والتي تُعرف بمعيارية العلوم، أو أخلاقيات المهن؛ والجوانب المعرفية المستمدة من مصدرية الفكر الإسلامي. أما الثانية فهي لعبد الحميد أبو سليمان، الذي يرى في الاجتهاد عملية فكرية تتسم بالتنظيم في الإطار العلمي المنهج داخل الأتون الفكري للأمة الإسلامية. وينحصر هدفه في التجديد الحضاري للأمة

عن طريق العملية التنويرية المعرفية المقصودة بذاتها. وفي المجمل، رأى المؤلف أن موضوع الاجتهاد المعرفي هو عالَم أفكار الأمة جمعاء، وهو اجتهاد مقاصدي للمعرفة يُستخلص من خلاله جملة من المنطلقات الأساسية الفكرية، والتي من ضمنها استحضار القوة الوجدانية الحضارية الذاتية، وطبيعة الإسلام بذاته، والإحياء والتجديد والتأصيل، وغيرها. ويرى كذلك بأنه عملية فكرية متجددة، يعالج إشكاليتين متناقضتين؛ هما: الجمود، والتقليد، والتعصب المذهبي، وهذه إشكالية وقع فيها العقل المسلم منذ العصر التراجعي الحضاري. والأخرى إشكالية الاستلاب العقلي والتغريب، أو ما أسماه بالمسخ الحضاري الذي توطّن خلال عصر النهضة الأوروبية (حسان، 2021، ص140–150).

عرض الشطر الثاني من الفصل الثالث موضوع وظائف الجامعة الحضارية، والتي تناولها المؤلف وفقاً لرؤية تحليلة ثمانية الأبعاد. عُد الدرس المعرفي والمنهجي للفكر الغربي وعلومه، أولى هذه الوظائف، منطلقاً من أن الموقف من الغرب هو أحد أهم العوامل المؤثرة في مسيرة الإصلاح الحضاري، ومقارباً بين ضرورة عدم تجاهله، وأهمية عدم التماهي مع مشروعه المادي، ولافتاً إلى إحداث قراءة منهجية سياقية للفكر الغربي وعلومه، وفقاً لمنطلقات محددة، والتي منها: النهضة التكنولوجية والتقدم العلمي؛ استخداماً وتوظيفاً وفلسفةً وأخلاقاً ومفهوماً مادياً ومنهجاً واعياً؛ القراءة المنهاجية السياقية في قراءة الفكر الغربي، استناداً إلى علم اجتماع المعرفة، والظروف التاريخية الاجتماعية والثقافية، تطوراً وتفسيراً؛ الانفتاح الفكري الإسلامي المستبصر المسؤول على الغرب، لأن الانفتاح على الآخر الحضاري هو من بدهيات الرؤية التوحيدية المسؤولة؛ إيجاد مصفاة ثقافية للمفاهيم الغربية، تبايناً فكرياً، وتصوراً اعتقادياً؛ الوعي بمسألة الاختزال الأنموذجي المعرفي المنهجي البحثي العلمي الغربي، بعداً واقعياً حسيّاً، واختزالاً منطقياً مادياً، ذاكراً أولية عبد الوهاب المسيري بنقد إشكالية التحيز، والتأسيس لمنهجية علمية ترصد الفكرة التحيزية في الفكر الغربي، أنموذجاً معرفياً، وكليةً ثقافيةً (حسان، 2021، ص151–159). أما ثاني هذه الوظائف فهي بناء منهاجية للإفادة من التراث الحضاري، الذي يجسد العنصر المؤثر في تكوين شخصية الأمة، مادياً

ومعنوياً، وتحديد منطلقات النظرة المعيارية النقدية التراثية البحثية، والتمييز بين ما هو أصيل إسلامي ودخيل عليه. وحدّد المؤلف خمس قواعد ذهنية تشكل منطلقاً منهجياً لإحياء التراث، تجمل في الآتي: أولاً: التمييز بين التحليل اللفظي أو ما يسمى الإحياء النصي، والتحليل التاريخي؛ وثانياً: امتلاك الحقيقة التراثية أو النص، عناصرَ متغيرة وأخرى ثابتة؛ وثالثاً: النظر إلى الوعي الجماعي بصفته محوراً يربط السيرورة الزمنية الحاضرة بالماضي والمستقبل؛ ورابعاً: التأكيد على أهمية فكرة الاستمرارية التاريخية، وتميز الخبرة الإسلامية، قدماً ومعاصرة؛ وخامساً: الأخذ بمبدأ الحركة العلمية بصفتها إحدى خصائص عملية التنظير الفكري، وإجابة التساؤلات المعاصرة. وبيّن المؤلف بأن قراءة التراث يخضع لضمنوابط أساسية عدة، منها: ضوابط الوعي والشمول؛ وضوابط الزمان والمكان؛ والضوابط الإنسانية والبشرية (حسان، 2021، ص159–167). وتمثلت ثالث هذه الوظائف ببناء منظور حضاري إسلامي لتجديد العلوم الإنسانية المعاصرة، لكونه محوراً مهمّاً من محاور نهضة الأمة، علمياً ومعرفياً، مُبرزاً مشروع إسلامية المعرفة، بوصفه أداة للمنظور الحضاري؛ إذ يعني بصورة من صوره الممارسة المعرفية ديمومةً نشطة، كشفاً وتجميعاً وتركيباً وتوصيلاً ونشراً، كل ذلك من الزاوية التصورية الإسلامية لثلاثية الكون والحياة والإنسان. ويهدف كذلك إلى إعادة بناء العالَم، من خلال المعرفة الإيمانية المتبصرة، والمستمدة من الهدي الإلهي. وتعد بموضوعها إصلاحاً معرفياً علمياً، وإن كانت تنصرف أساساً إلى الإصلاح العلمي الاجتماعي (حسان، 2021، ص168–170).

ويرى المؤلف بأن مشروع إسلامية المعرفة بحاجة إلى التطوير، أداءً وتنظيراً، مسمياً بعض الجوانب التي يمكن من خلالها بناء منظور حضاري للعلوم الإنسانية، يذكر منها ما يأتي: الكليات المعرفية الأساسية لبناء المنظور الحضاري الإسلامي، مبادىء، وتوحيد، وإقراراً بملكوت الله حكماً غيبياً وقيمياً، وإعادة تصنيف العلوم، ووجوبية تسمية علوم خلافة الإنسان بعلوم الأمة، التي يجب حفظ مكانتها، وعدم هدرها بواسطة العلوم الطبيعية؛ والشروط المنهجية التنظيرية، والعقلية والفكرية. ويذكر من هذه الشروط: إدراك واضح لأبعاد التصور الإسلامي، إنساناً ومجتمعاً وكوناً، وهو منبثق من كتاب الله وسنة رسوله، ويضاف إليه تراثية الإسلام تخصصاً، وإسهامات علماء

المسلمين حول قضاياه رؤية نقدية؛ واستيعاب العلوم الحديثة، مع إيجاد تكامل حقيقي بين إسهامتها ومعطيات التصور الإسلامي. ومن الشروط كذلك، وصف الوحي بأنه مصدر معرفي في مجال علوم الإنسان، وإعادة الاعتبار إليه؛ واعتبار التوحيد أساساً نظرياً ومنهجياً في عملية تأطير البحوث العلمية؛ وتحرير مفهوم العلمية من الصيغة الحسية الضيقة؛ والعمل على تحقيق الالتزام العلمي، مترافقاً مع تحرير البحث العلمي من أية انحيازات أيديولوجية؛ والتشبث بإعادة الاعتبار للعنصر الأخلاقي فيه؛ وإحداث التمييز بين الثوابت والمتغيرات في حقل الدراسات العلمية (حسان، 2021، ص170–172). ويعرج المؤلف على منهاجية المنظور الحضاري، والتي من جوانبها: تحديد الغاية من العلم، مرتبطة بغاية وجود الإنسان؛ وتوجه العالِـم في سلوكه البحثي؛ ونظرية المعرفة، منطلقاً وافتراضاً؛ ومنهج البحث العلمي، أسساً وتنظيراً، وتفسيراً لنتائج البحوث العلمية، مع الإفادة منها في الحياة العامة، تقنياً أو تكنولوجياً؛ والانطلاق من التوحيد وتضميناته، كوحدة الخلق نظاماً كونياً مسخراً، ووحدة الحقيقة، حياة وخلافة وأمانة إلهية، ووحدة الإنسانية، تكاملاً للوحي والعقل، وشمولية في المنهج والوسائل؛ وبناء المفاهيم الإسلامية والتأصيل المهجي، منطلقة من وصف الإسلام منهجاً شمولياً للحياة. وأورد المؤلف موضوع القيم بوصفها مبحثاً مؤسِّساً لبنائية المنظور الحضاري، وفعلاً ورؤية حضارية متفاعلة، مشيراً إلى بعض جوانب الدرس المعرفي للقيم، كأبعادها الحضارية، ووصفها مدخلاً منهاجياً، وإطاراً مرجعياً، وأنموذجاً إرشادياً، ونسقاً قياسياً. وتناول التوحيد مركزاً في البناء الحضاري، والذي تتمثل أبعاده المعرفية في البُعد القيمي والغيبي، والمتضمن التاريخي، تراثاً وحضارة، والمتضمن للنظرية الاجتماعية، فرداً وأسرةً ومجتمعاً وأمةً، والمتضمن الخاص بالنظرية السياسية، خلافةً وشورى ونظاماً سياسياً. وأفرد للتكامل المعرفي مساحة، بصفته توجّهاً أساسياً يقوم عليه الطرح الفكري للمنظور الحضاري، ويقف مقابلاً للازدواجية المعرفية، مُعرّفاً إياه بأنه تكامل بين علوم الوحي، قرآناً وسنة، وعلوم الكون، ظواهرَ الإنسان والطبيعة. وأشار إلى مجموعة من التمثلات التكاملية المعرفية، التي يجب أن تُضمن في الدرس المعرفي للجامعة الحضارية، كالتكامل المنهجي، والموضوعي، والغائي (حسان، 2021، ص173–177).

وأيقن المؤلف بأن هناك ضرورات فكرية لبناء منظور حضاري يتصل هدفاً بتجديد العلوم الإنسانية، والتي تتمثل ببناء مداخل معرفية ومنهجية منطلقة من الرؤية الإسلامية والقيمية والتصورات الأساسية في رباعية الإنسان والكون والطبيعة والوجود، متناولاً بالتفصيل المنظور الحضاري لكل من: علم التربية، والفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم الإدارة، وعلم الاقتصاد، والفنون، وحقوق الإنسان (حسان، 2021، ص177–186). وأما باقي وظائف الجامعة الحضارية الثمانية، فهي الآتي من الرابعة إلى الثامنة: إعادة بناء المفاهيم في العلوم الإنسانية والاجتماعية (حسان، 2021، ص186–193)؛ وبناء برنامج ما يسمى التربية الحضارية من أجل بناء الإنسان المعاصر (حسان، 2021، ص193–204)؛ وإعداد مفكرين وباحثين لحركة التطور الفكري والحضاري في المجتمع (حسان، 2021، ص205–213)؛ وصناعة الوعي بثقافة التجديد الحضاري (حسان، 2021، ص213–219)؛ وتتمثل ثامنة الوظائف باستقطاب العقول المفكرة والمتحررة، التي تُعد من أهم وظائف الجامعة الحضارية، مقترحاً تشكيل تجمع علمي، على شكل مجلس أو هيئة، لاستقطاب العقول المفكرة، والصفوة النخبوية، توظيفاً لطاقاتها المكتنزة لإحداث النقلة الحضارة المرجوة للأمة جمعاء (حسان، 2021، ص220–222). وأقفل المؤلف فصله بخاتمة مختزلة تؤكد على أن حقيقة الاجتهاد المعرفي، بصفته يشكّل مركزية مصادر الأمة وتاريخها، هو منبع الوظيفة الحضارية، ومدخل لها، و إطار معرفي لعمل الجامعة الحضارية في واقع الأمة الإسلامية. كما أشارت الخاتمة إلى الوظائف الكبرى للجامعة الحضارية، وفقاً لحقيقة الاجتهاد المعرفي، والمتمثلة في بناء الإنسان الصالح، وتحقيق إيناع الأمة الثقافي، وازدهارها الفكري، واستقلالية المنهج بناءً لأنموذج معرفي يتجاوز بذاته رباعية سلبية، أولها الانقسام، ثم الازدواجية والجمود والاستلاب. ووفقاً لهذه الوظائف الثلاث الكبرى، يتحتم على الجامعة الحضارية درس الفكر الغربي؛ استيعاباً وتجاوزاً وإجابةً، هذا فضلاً عن البنائية المنظورية الحضارية التجديدية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وإعادة موضعة منظومة الأمة المفاهيمية في بؤرة الشعور والعناية، بجانب التأطيرية البرنامجية التربوية، التي تحتوي مفاهيم إعدادية حضارية للشخصية الإنسانية المسلمة المستحدثة، ومستوعبة لطاقات الأمة العقلية والمتحررة في آن،

والعمل على إشاعة الوعي بمفهوم ثقافة التجديد الحضاري على مستوى الأمة (حسان، 2021، ص223-224).

خصص المؤلف الفصل الرابع، خاتمة فصول الكتاب، لتناول فكرة شمولية تمس الحاجة الضرورية للجامعة الحضارية من حيث الأطر والمتطلبات. وهو في حقيقته الدلالية استكمال للتصور المقترح لها، ودورها في تنوير الأمة وتغييرها. وتم تناول وظائفها في ضوء مدخل الاجتهاد المعرفي من خلال محورين أساسيين، هما: الأطر الحاكمة للجامعة الحضارية، وهي أطر ثلاثية الأبعاد: منهجي فكري؛ وقيمي معياري؛ وعلمي بحثي (حسان، 2021، ص226-243). أما المحور الثاني فهو متطلبات تأسيس الجامعة الحضارية، وهذه المتطلبات رباعية الأبعاد: متطلب بشري يمسّ شخصية الأستاذ الجامعي الحضاري؛ ومتطلب مؤسسي فكري يتناول تأسيس مراكز للتفكير والبحوث المساعدة؛ ومتطلب مادي اقتصادي تمويلي متمثل بأنموذج الوقف الإحيائي المجتمعي؛ وأخيراً متطلب الوعي الحضاري بفكرة الجامعة الحضارية من زاوية الضرورة المجتمعية والنهضة الحضارية (حسان، 2021، ص244-268). وخُتم الفصل بخاتمة يؤكد المؤلف من خلالها على أن الأطر، بثلاثيتها المفصّلة، هي الحدود الفكرية لعمل الجامعة الحضارية. وفي إشارته إلى رباعية المتطلبات الخاصة بتأسيس الجامعة الحضارية، وفقاً لتصوره، فقد أبرز متطلب الوقف بصفته بديلاً مهماً لتمويل مشروعها، بما يضمن تحقيق الاستفلالية الفكرية لها، تلك الاستقلالية التي تُعدّ من أهم خصائص عملها، منطلقاً من أن ضمان هذه الاستقلالية لا يتحقق إلا إذا كان المجتمع هو مصدر الإنشاء والرعاية الجامعية الحضارية (حسان، 2021، ص269-270).

آثر المؤلف تدوين خاتمة نهائية لكتابه تتناول ملف مشروع الجامعة الحضارية المقدم للأمة جمعاء، مختصراً إياه بخمسة محاور رئيسة، هي: فكرة المشروع الرئيسة، وحاجة الأمة إليه؛ و مقاصد المشروع العليا؛ ومجالات عمل المشروع؛ وأطر المشروع الحاكمة؛ ومتطلبات تأسيس المشروع. بجانب توصيات بحثية عن مشروع الجامعة الحضارية، جاءت على شكل أسئلة سداسية مفتوحة، تتناول مدى توافر المتطلبات الأساسية لتنفيذ هذا المشروع واقعاً إسلامياً؛ وأبعاد تطبيق فكرته؛ ومدى إمكانية تطبيق

الفكرة واقعياً؛ والمعوقات المحتملة لتطبيقه؛ وكيفية التغلب عليها؛ وجاءت قفلة الأسئلة فيما يجب أن يستكمل في الطرح النظري لهذه الدراسة المفصلة (حسان، 2021، ص271-279).

وأورد المؤلف قائمة مطولة من المراجع العربية، بلغ عددها 210 كتاباً، مضافاً إليها عشرة مواقع إلكترونية، إحداها موقع شذرات، ومعرفة، وتقع جميعها في ثماني عشرة صفحة (حسان، 2021، ص281-299). وأكثر باحث أورد له المؤلف كتباً هو: مالك بن نبي، بواقع عشرة كتب، للناشر نفسه (حسان، 2021، ص297)، مع ملاحظة اعتماده على طبعتين مختلفتين لكتاب بعينه (مالك بن نبي: تأملات، دمشق، دار الفكر، 2000م، 2014م). يليه بالأكثرية إسماعيل راجي الفاروقي بواقع ثمانية عناوين، ما بين كتب وأبحاث وإعداد مشترك (حسان، 2021، ص29-292)، إلا أن هناك كتاباً مكرراً (إسماعيل الفاروقي، أسلمة المعرفة: المبادىء العامة وخطة العمل، ترجمة: عبد الوارث سعيد، الكويت، دار البحوث العلمية، 1984م). ويليه بحوث سيف الدين عبد الفتاح، بواقع سبعة مراجع بحثية (حسان، 2021، ص289-290).